

إحدى تجارب حب الشباب . وكانت أمراضها المتعبية تنحصر في شلل وتشنج الذراع الأيمن بصفة خاصة . وبعد أربعة شهور من ظهور هذه الأعراض توفي والدها فأصابها « التجوال النومي Sompabutim » عقب ذلك

عد « روبر » فترة حضانة المرض من بداية مرض والدها إذ كانت متعلقة به تعلقا شديدا وعمضى كل وقتها في القيام بتمريضه . وبعد وفاته ازدادت حالتها سوءا فاشتدت هلوساتها التي كانت تدور حول الأفاعى ووصلت إلى حد مرعب شنيع . وصارت تراودها فكرة الانتحار من حين لآخر وتصيبها فييوبات في ميعاد واحد تقريبا من كل يوم . كذلك فقدت معرفتها لذاتها الأصلية وهى الألمانية ، وأصبحت لا تستطيع إلا تكلم اللغة الإنجليزية وأخيرا تكلمت الفرنسية والإيطالية

ابتدأ « روبر » في تطبيق طريفته الملاجية مع هذه الفتاة فلاحظ أنها تعود إلى حالتها الذهنية العادية عندما يساعدها أثناء التنويم المغناطيسى على تذكر الوقف والأشياء المرتبطة به مع إتساح المجال للانفعالات التي قد يثيرها هذا التذكر . فهذا التنظيف الروحي أدى إلى اختفاء كثير من الأعراض . وكانت هى نفسها تسمى هذه الطريقة « chimney sweeping » أو « talking cure » وقد كان ذلك تشبيها « لبرور » على الاستمرار إذ كانت تصرح له المريضة بأن يدها تتحدث لأنها تجد في ذلك شفاء

ومن حديثها استطاع « روبر » الوصول إلى كيفية تكون المرض الخاص بشلل ذراعها . ففى ذات ليلة كانت المريضة تجلس إلى جوار سرير والدها المريض واضعة ذراعها اليمنى على ظهر الكرسى . وفى حلم يقظة رأت أقمى سوداء تخرج من الحائط وتسمى للدغ والدها وهنا حاولت أن تبعدوا ولكنها لم تستطع . إذ شمعت بشلل في ذراعها الأيمن الذى كان « منملا » بحكم وضعه . وفى هذه اللحظة حاولت أن تصلى ولكنها وجدت أنها لا تعرف شيئا من الألمانية ولم تجد في ذهنها إلا دعاء بالإنجليزية فردته

وحدث أثناء العلاج أن ظهر عرض جديد . فكانت المريضة تأخذ كوب الماء في يدها ولكن ما كاد يلمس شفيتها حتى تدفنه

النسيان في نظر التحليل النفسى

الآنسة فائزة على كامل

— ٢ —

وقفنا مع فرويد في المقال السابق على تفسير جديد للنسيان بناء على دراسته لبعض الأعمال التي تحدث في حياتنا اليومية . كنسيان اسم شخص أو موضع شئ ... الخ . وسنمرض هذه المرة لعملية النسيان في المجال المرضى . فهنا نجد أن فرويد قد نسب إلى هذه العملية أهمية بالغة إذ نبين أنها الملة لبعض الأمراض النفسية كالهستيريا . فما الذى أدى به إلى هذه النتيجة ؟

فيما قبل « فرويد » كانت توجد بديهية طبية هى « فكر تفكيرا تشريحا » فكانت فكرة المرض مرتبطة بفكرة الإصابة . ففى أن نفكر تشريحا هو أن ننظر إلى الإنسان من ناحية بناء جسمه وتناسى الناحية الوظيفية للأعضاء . فتمتقد بوجود « أشياء » لا « أعمال » . ولكن انضعت مضار الأخذ بهذا الرأى إذ كان له أسوأ النتائج من الناحية الملاجية إذ ساد الإيمان بأن ما هدم أو فقد فلا أمل في برئه . فكان الأطباء يقفون مكتوف الأيدي أمام مرض « الأفازيا » (Aphasia أى اختلال الوظائف اللغوية) بناء على ذلك الأساس

ثم عدل عن هذه البديهية وأخذ ببديهية أخرى هى « فكر تفكيرا فسيولوجيا » أى يجب أن تراعى الأعمال فلا نهمل ما تقوم به الأعضاء من وظائف . ولكن جاء فرويد وأظهر أن التفكير الفسيولوجى لا يكن أيضا ؛ ويجب أن نفكر تفكيرا سيكولوجيا ، ففى كثير من الحالات التي ترددت عليه وجد أن الملة مشكلة سيكولوجية . هذا بالإضافة إلى أبحاث « بروبر » التي ساعدته إلى حد كبير على الوصول إلى ما وصل إليه خاصة بالمستيريا فقد حدث أن جاءت « لبرور » فيا بين سنة ١٨٨٠

وسنة ١٨٨١ فتاة تدعى « Anna O. » تعاني حالة هستيرية . كانت في العشرين من عمرها ، على جانب من اللدكاء ، طيبة القلب ، تباثم في مرحها وتفرد في حزنها . كانت تبيت في طام من أحلام اليقظة إذ لم تشأ الظروف أن تجعلها تقع في شرك

فإنها تسكبت ومن ثم فالمستعير يتقوم على السكبت وهذه أول إضافة أضافها فرويد إلى آراء « باينسكي » (١) و « جانيه »
 لقد اتفق « فرويد » مع « جانيه » على أن علة الاضطراب المستعير هي التأثير اللاشعوري، ولكن فيما عدا ذلك فإنه يوجد تباين شديد بين آرائهما . فبالنسبة لجانيه يمكن أن يشبه النشاط النفسي بقاطرة إذا توقفت فذلك يرجع إما إلى كسر أو التواء في بعض أجزائها . وهذا يمثل التوتر . وإما إلى حاجة القاطرة إلى ماء أو دهن ، وهذا يمثل الاضطرابات الديناميكية النفسية أو العصبية التي يمكن إصلاحها . أما فرويد فينظر إلى الأمر نظرة أخرى . فهو يمثل النشاط النفسي بقاطرتين إذا سارتا في اتجاهين متقابلين في طريق واحد فإنهما سيتصادمان وإن يستطعا التقدم، وهذا يمثل نوعاً جديداً من الاضطراب لم يقل به أحد قبل « فرويد » وهو الكف inhibition فهذا الاضطراب لا يرجع إلى التوتر ولا إلى نقص عصبي أو نفسي وإنما يرجع إلى اضطرابات ديناميكية متقابلة . فأراء فرويد مركزة حول فكرة إيجابية هي الصراع conflict بينما آراء « جانيه » تدور حول فكرة سلبية هي النقص Deficiency

وتمت فكرة أخرى فسرها « فرويد » وهي الأعراض الجسمية المستعيرة كانبساق الصوت aphonia أو الرجفة أو الشلل . وقد أطلق عليها اسم « المستعيرة التحولية » conversion hysteria فهذه ليست إلا الطاقة المؤثرة المكبوتة المتجمعة في اللاشعور . ولكن كيف يمكن لهذه الطاقة أن تتحول إلى أعراض جسمية ؟ يجب « فرويد » بأن المرض المستعيرى مثله كمثل الحلم . فهو يدل على رغبة مكبوتة يجب ألا تظل كذلك لأنها مادامت هي موفونة في اللاشعور فإنها لن

بمبدأ كما لو كانت تمانى مرض الهيدروفوبيا (hydrophobia) أي الحوف المرضي من الماء) فكانت لا تستطيع الشراب على الرغم من شدة الحر في تلك الأيام؛ وكانت تلجأ إلى أكل الفواكه مثل البطيخ لتخفف من شدة عطشها . استمر الحال كذلك لمدة ستة أسابيع وفي ذات يوم تحدث أثناء نومها المغناطيسي عن مريضتها الإنجليزية التي كانت تسكرها . ثم ذكرت حادثة مؤداها أن هذه المريضة سمحت لسكب ذات مرة أن يشرب من كوب كانت تشرب منه المريضة فتضاقت أشد المضايقة ولكنها اضطرت إلى قمع اشتزازها نادياً . بعد أن مردت هذه الواقعة وعبرت تعبيراً قوياً عما سبب غضبها وأثار اشتزازها طلبت كوباً من الماء وشربته ، وأخافت من فيوبية التنويم المغناطيسي وكوب الماء على شفيتها . ومنذ هذه الجلسة زال خوفها من الماء ، وبالمثل اخفت كل أعراضها المستعيرة والقليل الذي بقي كان عضوي النشأ

انتهى « بروير » من هذه الحالة إلى نتيجتين : الأولى ؛ وهي خاصة بالناحية العلية ، وبمجلها أن بعض الأمراض المرضية سببها ذكريات لا يستطيع الشخص استحضارها إرادياً . أي أنها تقوم على ذكريات لاشعورية . الثانية ؛ وتتمثل بالطريقة الملاجية ، وهي تبين أن مجرد استكمال الذكرى المؤلة المنسية في الشعور مع التصريف الانفعالي يؤديان إلى الشفاء . وقد قام التحليل النفسي كله على هاتين النتيجتين اللتين توصل إليهما « بروير » إذ أخذ منهما « فرويد » بداية لأبحاثه في « العصاب العظيم » وهو المستعير . ففي عام ١٨٩٥ ظهر كتاب لهما مما الاثنان بعنوان « دراسات في المستعير »

في هذا الكتاب أتى « فرويد » بآراء جديدة على جانب شديد من العمق فأظهر أن المستعير مرض نفسي يمتاز بصيق في ميدان الشعور . وكان « جانيه » يرجع ذلك الصيق إلى أسباب عضوية . أما « فرويد » فإن كان لم يستبعد تلك الأسباب كلية إلا أنه أعلن أنها لا تمد تمليلاً كافياً . ففي نظر « فرويد » أن فشل بعض التصورات في شق طريقها إلى الشعور إنما يرجع إلى استبعادها نتيجة لانعكاس دغامي ، فهذه التصورات محملة بشحنة مؤلة لغراضها مع الميول الرئيسية الموجودة في الشعور . ولذلك

(١) عندما ذاعت آراء « فرويد » في فرنسا اعترض عليها بعض الأطباء الكليكيين وقالوا أنها ليست إلا آراء « باينسكي Bapinski » وكان طبيب أمراض عصبية . وملخص آرائه « أن المستعير حالة مرضية تتميز باضطرابات يمكن استحداثها لدى بعض الأشخاص بواسطة الأفعال ويمكن إزالتها بتأثير الانعكاس (ضد الأفعال) ، ولفرق بينها وبين نوم المرض بأنها تتضمن أشياء لا شعورية . ولكن « باينسكي » لم يكن يحفل كثيراً بلم النفس فلم يمسح أكثر من ذلك ولم يصرح بحيلة الكبت وما تقوم به من دور رئيسي في عصاب المستعير كما فعل « فرويد »

وتلك الميول لا تتفق وعقلية الكبار الذين يعملون بكل ما في وسعهم لفظم الطامل عنها وتوجيه ذهنه إلى ميول أخرى. وهذا ما يسمى « بالتسامي ». ومن هنا يضطر الطفل إلى قمع ميوله البدائية ودفنها في اللاشعور. ولكن هذه الميول والرغبات المكبوتة لا تفقد شيئاً من ديناميكيته مدي الحياة، فإذا لم نسكف طرق التسامي للتخفيف من الطاقة التي تحتوى عليها فإن النفس تعمل على تصريف تلك الطاقة بشتى الطرق ولو أدى ذلك إلى ظهور أعراض مرضية. فالأعراض المصاحبة تمثل في صورة مثيرة تحقيق الرغبات المكبوتة

إن للنسيان أهمية بالغة في الحياة النفسية، ولذلك يقول « فرويد » إن ما يجب عمله إزاء فكرة بنقصها معنى أو عمل ليس له هدف هو أن نتمر على الموقف الماضى الذى تمخضت فيه الفكرة ووصل العمل إلى هدف. « وكان « جانبه » يستخدم التنويم المغناطيسى ليصل إلى ذلك الموقف الماضى ثم يهاجم الأفكار بعد ظهورها بوسائل مختلفة كالإيماء أو إيجاد عناصر منافسة لها أو تحمل محلها. ولكن تبين « بروير » و « فرويد » أنه لا يمكن استعمال التنويم المغناطيسى في جميع الحالات واكتشفنا أن إكمال الذكرى المؤلمة بإعادة الجزء النفسى منها إلى الشعور مع التصريف الانفعالى.. فهما الكفاية للشفاء وزوال الأعراض. لهذا لم يأخذ بالإيماء المباشر لهاربة الأعراض ولم يوافقا على استبدال أفكار بأفكار. لقد حصرا العلاج التحليلي في حل الماديات المرضية وذلك باستذكار الحوادث التي نبتت منها. فيجب ملء كل الشفرات التي في ذاكرة المرضى، أى يجب استبعاد « الأمتيزيا » وجعل كل ما هو لاشعورى شعورى

أما سر زوال الأعراض بمجرد استحضار الذكريات المنسية فيرجع إلى أن التحليل النفسى يحول المرض إلى صورته الأصلية. هذا من جهة. ومن جهة أخرى نلاحظ أن التداوى الحر (٣)

(٣) Free associations وهذه طريقة عمية جديدة اوجدتها فرويد. فكان يطلب من المريض أن يذكر له كل ما يدور بذهنه دون أن يدل على تفسير مجرى التيار النفسى أو توجيه أى « د ». وهنا كان يلف فرويد على مخاوف المريض وأسباب تلكه أو هذائه. فالتحليل النفسى يقول للمريض « إنه من أجل هنا نفسك هكذا » ولا يقول له « أنك غطى » لعمورك بهذا الخوف أو ذلك الانحمار، إن كل ما يبسه أن يهمل الملة المرضية مشعوراً بها

تسكف عن التعبير عن نفسها بواسطة أعراض شديدة الاختلاف إنه لا يكفى استبعاد الأعراض لأن مثل ذلك كمثل من يقطع الأعشاب السطحية ويبقى على الجذور. فالصابون بالأعراض المستعيرة لم يفتروا بعد من الموقف المؤلم أو الصدمة التي لحقت بهم، إنهم يظنون متموتين بالموقف الماضى ويصبحون فرياء عن الحاضر والمستقبل. ثم يخون ذلك الموقف في طيات النسيان ويصبح لاشعورياً ويحل محله الأعراض المستعيرة التي ما هي إلا الصراع في صور، مختلفة. ولا يحدث ذلك من صدمة واحدة وإنما بعد معاناة عدة صدمات. وهو يعنى بالصدمة trauma (٢) كل ما يجلب استنارة في الحياة النفسية تبلغ حداً من العنف بحيث يصبح قمعها أو التماسى بها أمراً مستحيلًا بواسطة الطرق المادية. فتلك هي الملة الحقيقية لنشوء التابع المستعيرة. وقد أشار « فرويد » إلى نقطة هامة وهي أن كل عرض مستعير يكشف بوجه عام عن مجموعة من التأثيرات حدثت في حياة المريض فيما مضى ويؤكد أنه نسيها تماماً. وقد وُجِع هذه التأثيرات إلى السنين الأولى من الحياة.. ولذلك فإن « فرويد » ينظر إلى حياة الفرد كتيار متصل ترابط فيه الميول والرغبات. وهو يعتقد أن خلق الشخص يتكون قبل نهاية الخمس سنوات الأولى من العمر، ونحن إذا أنكرنا ذلك فأعما نملن جهلنا بالعمليات العقلية لمرحلة الطفولة وما لها من تأثير لاشعورى. كذلك قد يرجع ذلك الإنكار إلى نسياننا لهذه الفترة من الحياة؛ ذلك النسيان الذى يحتاج إلى تفسير لأنه ليس عملية فيولوجية طبيعية في نظر « فرويد »

يقول « فرويد » إن سبب نسياننا لمرحلة الطفولة infantile amnesia هو السكبت الذى يقوم بدور كبير في مرحلة التطيم المبكرة. فالأطفال يأتون وهذا العالم وهم مزدون بميول ورغبات بريئة تناسب وسعهم، ولكن هذه الرغبات

(٢) يلاحظ أن الحوادث ذاتها لا تعد صدمات، فبلا اعتراض أسد لطريق شخص ما لصدمة.. وإنما الذى يعد كذلك هو التصور الذى ينشأ نتيجة هذه الواقعة. فاعتراض الأسد طريق شخص ما قد يؤدي إلى صدمة بالنسبة لتلك الشخص وقد لا يؤدي إلى شيء بالنسبة لشخص ثان. الكلمة traumatic مرادفة له woundlag أو injurious

الواقعية الفنية

للأستاذ عبد الوهاب محمود

الجنة المزيبة حتى ذهب بعضهم إلى الالتجاء ل لغة العامية (١) ، إلا أن حقيقة هذا المذهب الأدبي غير مابرى هذا الفريق ! فالفنان كما يقول توفيق الحكيم (٢) ليس يعحرر تقارير ، وإنما هو محرر عواطف . وليست الأمانة المطلوبة منه نقل الأحداث دون الشاعر والمواطن ، فالواقعية كما يرى دهباميل ليست بالواقعية الفونوغرافية (Réalité phonographique) التي لا يخرج عملها عن عمل آلة التصوير التي (كافت) بالقاطات الواقع بمحرك آلية عمياء جافة . ولعل الذي دفعني إلى كتابة هذه المجالة تلك المسالك السود ، التي أخذ يسلكها نفر من كتابنا حتى مسخروا وجه الحقيقة وفدا أدهم لا يبدو تلك (اللقمة) التي تربع على مائدة الطعام ، أو تلك الصور التي يشيع فيها التشاؤم والرعب من الحياة

الواقعية الفنية لا تبعدنا عن حياتنا - كما بطن - بل هي الواقع المحس قد داعبته أنامل الفنان ، وقد يرسم الفنان - الشاعر أو القصاص - صوراً ماثلة في الواقع ، واقعة حقاً ، وقد لا تكون كذلك كما لا يلزمنا أن تكون تلك الصورة المنقولة صورة سامية حسنة جميلة ، بل كل ما يطلبه الفن نقل الصورة نقلاً فنياً ، وكل ما يطلبه الواقع نقلها بأمانة . وإذا صهرنا مطالب الفن ومطالب الواقع - في بوتقة واحدة - ظهر لنا (الأدب الواقعي الفني) الذي هو نفسه الأدب المصور المؤثر

ويحضرني الآن رأي للأستاذ المداوي نشره في تقييداته في عدد الرسالة الفاتت (٣) إذ قال : الواقعية ضربان ، واقعية أولى ويكون فيها نموذج الشخصية موجوداً (بالفعل) في الحياة ، والواقعية الثانية ، ويكون فيها نموذج الشخصية موجوداً (بالإمكان) . ولم يقف الأستاذ المداوي عند هذا الحد ، وإنما ذهب إلى تعريف الواقعية الأولى فقال (هي نقل مباشر لصور الحياة وطبائع الأحياء ، كما هي في الواقع المحس الذي تلمسه العين وتألّفه النفس) ولو وقف الأستاذ عند قوله : (إنها نقل مباشر لصور

عاشت المدرسة الابتداعية (Ecole Romantique) في عالم من خيال تتقاذفها صور السكّابة والحنين والياس ، ويشق الاقتراب الروحي طريقه إلى نفوس كتابها ، فلبجوا بدورهم في دنيا من ضباب ، وسلكوا في أساليبهم مسلكاً تشيع منه الأحزان والشاعر النفسية القلقة المضطربة . ولعل (هوجو) خير من يمثل هذا المذهب الفني الأدبي

وكرر فعل لهذه المدرسة التي غالت في الخيال برزت المدرسة الواقعية (Ecole Realiste) في ميدان الأدب ، وسرعان ما سارت في هذا الميدان واتجه إليها كثير من الأدباء أنجماها فنيا صادقاً يتمشى مع روح الواقعية الحقة بينما سلك آخرون سبيلاً ملتوية ، لا تمت إلى الواقعية الفنية بسلة . ومن آثارها ذلك الإنتاج الغزير الهى (تقذفه) إلينا الصحف والمجلات ، وبخاصة تلك الصحف التي تبني السكسب المادى . وكثير أنصار هذه الواقعية الحقاء التي تتجسم بنقل الواقع نقلاً (فوتوغرافياً) جافاً جامداً كأنتمثل بشك

يسمح للمريض باسترجاع الذكريات المؤلّة على دقعات . فما لوحظ أن الذكرى المكدره لا تسترجع أولاً وإنما تأتي الأفكار التي تربط بهذه الذكرى .. ومنها يتدرج إلى الذكرى المؤلّة حقاً . وهكذا فإن المريض لا يواجه ما ينقصه مرة واحدة .. بل يأخذ جرعة جرعة ، بناف إلى ذلك أن وجود الحلل يشجع المريض ويقوى أنيته . فكل اضطراب نفسى له علة مهما كان غموضه في الظاهر ، وعمل الحلل الكشوف من هذه العلة .. ولا يستطيع القيام بذلك إلا من هي ليقابل بهدوء كل محتويات القهن اللاشمورية .. وكان لديه خبرة واقعية بطريقة حل الصراع

فائزة على كامل

البيبة في المدد القامد

(١) يرى الأستاذ أحمد حسن الزيات بك أن الانجلاء إلى العامية

نتج عن جهل بعض الأدباء باللغة الفصحى (دفاع عن البلاغة)

(٢) (تحت المصباح الأخضر)

(٣) الرسالة عدد ٩٣٩ ، السنة التاسعة عشرة